عنوان البحث: "عبرنة التعليم العالي في إسرائيل- جامعة التخنيون أنموذجاً "

د. يحيى نايف اللحام (أستاذ مناهج وطرق تدريس اللغة العربية – كلية التربية)

د. بسام علي أبو بشير(أستاذ الأدب والنقد – كلية الآداب والعلوم الإنسانية)

جامعة الأقصى- فلسطين.

ملخص الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن تجربة لاستخدام اللغة القومية في التعليم العالي والكشف عن أوجه الشبه والاختلاف بينها وبين التجارب العربية في تعريب التعليم، وتم اختيار التجربة الإسرائيلية لعدة اعتبارات منها ؛ التشابه الكبير بين اللغة العبرية والعربية، وانتماؤهما لأسرة واحدة، ووجود عقبات كبيرة تم التغلب عليها بنجاح، أهمها؛ افتقار العبرية إلى معظم المصطلحات العصرية، وانعدام تام للمراجع، وجهل الأساتذة باللغة العبرية، وبدء التجربة من الصفر، فلا جامعات، ولا مجلات علمية، ولا مؤتمرات ناطقة باللغة العبرية، فضلاً عن انحصارها داخل حدود فلسطين المحتلة، وندرة عدد المتحدثين بها، وقد خلصت الدراسة إلى أن هذه التجربة قد حققت نجاحاً كبيراً و ملموساً في جعل اللغة العبرية لغة علمية صالحة للتدريس، ولاستيعاب مستجدات العصر، وعليه يمكن أن نستنتج؛ أن مشكلات التعريب ما هي إلا مشكلات واهية يتذرع بها من يرفض التعريب، لا لشيء إلا للرفض فقط ، وتوصي الدراسة بإعادة النظر في مشكلات التعريب في العالم العربي.

مقدمة الدراسة:

لم يعد مفهوم " اللغة القومية " – خلال القرنين الأخيرين على أقل تقدير – محصـــوراً في حدود تحقيق التواصل مع الآخرين، والتأليف بينهم على صعيد واحد ، أو وصف الأشياء المجردة والعمليات المعقدة ، بل حلق بعيداً متجاوزاً هذه الحدود إلى آفاق جديدة أرحب وأوســـع وأكثر خطورة ، فارتبط هذا المفهوم بعلاقات قوية وراســـخة بالحق في الوجود، والقدرة والكفاءة في التأثير، والاصـــطفاف بجدارة في مقدمة القافلة، للقيام بدور فاعل وصعب في صناعة القرارات والأحداث التي تحكم وتوجه الوجود الإنساني على هذا الكوكب. " لم يعد دور اللغة مجرد أداة اتصال، بل هي انتماء اجتماعي، كما انها وجهة نظر أصحابها في طريق ادراك العالم ووضـع متصـوراته الذهنية؛ ومن ثم فهي تحمل قيمهم الخصـوصـية والاجتماعية والثقافية".(الكركي (2019): ص116).

لذلك نرى كثيراً من الأمم والشـعوب تحرص على بذل المجهود وإنفاق الغالي والنفيس؛ من المال والوقت والفكر والجهد، لتطوير لغاتها القومية بما يؤهلها لمواكبة جميع تطورات العصـر، والقيام بوظائفها النامية والمتجددة ، وعلى رأسها قدرة اللغة على اختزان ونقل كل ما يستجد من علوم ومعارف .

ولا نستغرب عندما نرى أمة صـغيرة على بقعة جغرافية محدودة، تسـعى لتحقيق وإثبات وجودها – بغض النظر عن أحقيتها من عدمه – من خلال كلمة السر؛ وهي (اللغة) "لأن اللغة من أبرز مقومات الشخصية ، فهي الاطار الذي يحفظ كيان أصـــحابها ويحدد هويتهم ، وهي العمود الفقري للقومية ، فضـــلا عن انها مرآة الافكار والمشـاعر، واداة التفكير، واسـاس ولادة الحاسـة العلمية والفنية وتكوين التصـورات الذهنية واهم مظهر يتجلى فيه ابداع امة ومن اهم الوشـائج الاجتماعية بين ابناء الامة، (المناوي(2013):ص42) فبادرت إلى إحياء لغتها القومية وتأهيلها، لتكون لغةً حيةً معاصـــرةً قادرةً على احتواء وتداول العلوم والمعارف في أروقة المؤسسـات المختلفة، وذلك كخطوة أساسية وجذرية للوصـول إلى مكانة تمكنها من التأثير وإثبات الذات وإعلان الوجود، "فاللغة العبرية لغة حديثة جداً تم إحياؤها كجزء من الوعي الجمعي اليهودي في أوروبا في القرن التاسع عشر" (الحلبي(2009): ص104).

ونظن أنها نجحت في ذلك بالرغم من حجم المشكلات والصـعوبات التي واجهتها ، فقد تغلبت على مشكلة جمود اللغة وفقرها إلى معظم المصطلحات ، فاللغة العبرية قبل إحياؤها كانت لغة دينية محنطة في المعابد ،فبعد أن كانت اللغة العبرية هي اللغة الرسـمية والدينية الشـائعة الاسـتعمال على لسـان اليهود ، وهو دور فصيح وصلت فيه إلى قمة ازدهارها في عهد سليمان، وبعد تخريب الهيكل عام(587ق.م) انحدرت وفقدت مكانتها كلغة رسمية ، واقتصر استعمالها على المحيط الديني فقط، حيث استمرت لغة للحكماء يستعملونها في المعابد، وهكذا انتهى أمر اللغة العبرية كلغة حية، وبعد خروج المسـلمين من الأندلس، انكمشـت اللغة العبرية من جديد، وعادت لغة ميتة لا تسـتعمل إلا في العبادات والكتابات الدينية أو الصـــوفية في شـــمال أوروبا وشـرقها، وفي بعض أجزاء من حوض البحر الأبيض، ولم تظهر إلا بظهور الصـهيونية في القرن التاسـع عشـر في أوروبا وبداية الهجرات إلى فلسـطين، ومع قيام إسـرائيل عام(1948م) نجد جهازاً من اللغويين يحاولون جعلها لغة قادرة على مواكبة روح العصر الحديث ومنهم؛ "أليعازر بن يهودا، ويوسف كلاوزنر، وابن شوشان" وغيرهم. (راشد (1993):ص17-20)

وقد سـعى اليهود للاعتماد على اللغة في تحقيقهم لأهدافهم المرسـومة " فقد سـعت الصـهيونية إلى تحقيق هدفين اثنين؛ تجميع اليهود في مكان واحد بحيث يشـــكلون جزءاً كبيراً من ســـكان ذلك المكان، ثم تمكين اليهود من ممارســـة حياة كاملة في مكان لا يكونون فيه متعلقين بالنوايا الحســـنة لشـــعوب أخرى أو تحت رحمتهم، وكانت عملية إحياء اللغة العبرية واعتمادها لغة رســـمية لجميع مناحي الحياة هي المحور الذي يرتكز عليه الوصول إلى هذين الهدفين. (غابيزون(2008):ص77).

كما أنها عملت

على تطوير الكفاءة اللغوية لدى معظم أســـاتذة الجامعات وكلفتهم بنقل وترجمة الكتب العلمية في مجال تخصـصـاتهم إلى اللغة العبرية، فأصـبح الأستاذ الجامعي يجيد العبرية، وقادراً على التدريس والنشـر بها، كما أن العدد المتواضـع للمتحدثين بها، لم يشـكل عائقاً أمام هذا المشـوار ، فعدد الإسـرائيليين لا يتجاوز

الست ملايين نسمة ، ولا نعتقد أن هناك مرجعاً واحداً بالعبرية كان متوفراً في العلوم العصرية قبل بدء التجربة، ومع ذلك تم تجاوز هذه المشكلة .

وبمقارنة هذه المشكلات التي تجاوزتها "العبرنة" بالمشكلات التي نواجهها في تعريب تعلمينا، فلا نكاد نرى لمشكلاتنا وجود ، فقط هي الإرادة التي نفتقدها تشكل أكبر العقبات أمام تعريبنا لتعليمنا وتعظيمنا للغتنا الحية، والتي لم تمت يوماً منذ مئات السنين .(اللحام"2019"). ومن هنا تكتسب هذه الدراسة أهميتها، فهي ستتناول بالدراسة والتحليل وفق منهج وصفي تحليلي واستقرائي؛ كيف استطاعت إسرائيل كدولة صغيرة تعيش في محيط عربي أن تعتمد اللغة العبرية في جامعاتها وكلياتها العلمية، باعتبارها لغة رسمية للدولة، كما أنها اللغة الأم لليهود الذين يولدون في إسرائيل.

في المقابل نجد أن جُل الجامعات العربية في وطننا العربي تدرس العلوم والمعارف باللغة الإنجليزية، أو الفرنسية في الكليات العلمية وتحديداً؛ كليتي الطب والهندسة، وكان الأجدر بنا أن يكون التدريس الأكاديمي باللغة العربية، فاليوم يمضي قرن من الزمان على تجربة العبرنة في التعليم العالي في إسرائيل وأكثر، ورغم الصعوبات والعقبات إلا أن التصميم والإرادة والدعم المادي والمعنوي من الدولة العبرية لجامعاتها ومدارسها جعلها تنجح في هذه التجربة، وتتفوق ومثالنا على ذلك؛ "جامعة التخنيون بحيفا"، كنموذج يحتذى به فقد بدأت" كمعهد تقني"، وقد تم وضع حجر الأساس له عام (1912م) تم أصبح جامعة عام(1925م) (عبد الله (1973): ص19. وها هي اليوم الجامعة الأولى في إسرائيل في مجال التعليم العالي التقني والتكنولوجي، والدراسة بها باللغة العبرية منذ نشأتها إلى يومنا هذا. وفي هذه الدراسة سنطرح عدة أسئلة حول هذه التجربة الإسرائيلية في عبرنة التعليم العالي، وكيفية تجاوز المشكلات وحلها، كذلك ستتناول هذه الدراسة أيضاً مسألة التعريب في الكليات العلمية في الجامعات العربية.

فمسألة تعريب العلوم ما تزال تشكل تحدياً حضارياً لجامعاتنا العربية، ولنا دروس وعبر في نجاح التجربة العبرية في الكليات والجامعات الإسرائيلية، والحاضر و المستقبل سيشهد لنا أم علينا في عدم قدرتنا على حل هذه المسألة، فالتعريب ضرورة ملحة في الجامعات العربية، فهل من معّرب أو مسئول يعي خطورة الموقف، ويخوض التجربة وينجح فيها كما نجحت سوريا، أم نبقى في صمت وذهول في هذا الموضوع ، نتمنى أن يطرح المؤتمر الحالي مبادرة هادفة وقيمة للتعريب في الجامعات العربية.

مشكلة الدراسة:

كثيرة هي المشكلات والصعوبات التي غالباً ما يسوقها معارضو التعريب ويتذرعون بها كصعوبات وعراقيل عصية على الحل ، وعلى رأس هذه الصعوبات اللغة العربية نفسها ، بما فيها من جمود وقصور مزعوم أعجزها عن استيعاب المصطلحات المستجدة ، ومواكبة التطورات المتسارعة ، لكننا نجد في الوقت نفسه كثيراً من الأمم والشعوب تتسابق لحل جميع المشكلات التي تعوق استخدام لغاتها القومية في التعليم العالي، وباقي الأنشطة الأكاديمية ، ولا نستغرب اذا رأينا دولاً عظمى؛ "كروسيا والصين واليابان وبعض الدول الأوروبية" تحرص كل الحرص على استخدام لغاتها القومية في التدريس ، لكننا قد نندهش كثيراً وتأخذنا الحيرة عندما نرى كياناً صغيراً غريباً وسط محيط عربي لا يتجاوز عدد سكانه الست ملايين نسمة يبادر إلى إحياء لغته الميتة المحنطة في المعابد ، ويطورها لتصبح لغة للعلم والدراسة والبحث العلمي متجاوزاً كل العقبات بنجاح ، وفي المقابل نرى أمة كبيرة تنعم بكل مقومات الاستقلالية والتميز، كما تنعم بلغة حية عالمية يتحدث بها مئات الملايين من العرب والمسلمين ، يقفون عاجزين عن استخدام لغتهم في التدريس داخل الأروقة والمؤسسات العلمية ، " في مصر وحدها اثنتي عشرة جامعة، تضم أكثر من نصف المليون من الطلبة، يدرسون في مائة وواحد وسبعين كلية ومعهداً، إضافة إلى مائتين وأربعين مركزاً ومعهداً للبحث العلمي، ومن بين هؤلاء الطلبة قرابة مائة وخمسين ألفاً يدرسون معظم مقرراتهم باللغة الإنجليزية، وهم طلبة كليات العلوم والهندسة والطب البشري وطب الأسنان والصيدلة والطب البيطري والمعهد العالي للتمريض ومعهد العلاج الطبيعي، ويقوم بالتدريس لهم نحو خمسة عشر ألفاً من الأساتذة". (حافظ، محمود (ب-ت): ص5). من هذا يمكن تحديد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي :

هل نجحت التجربة الإسرائيلية في عبرنة التعليم العالي وتجاوز مشكلاتها ؟

ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:

1. ما الإنجازات التي حققتها تجربة العبرية في عبرنتها للتعليم العالي؟
2. ما أوجه الشبه والاختلاف بين تجربة العبرنة وتجربة التعريب؟
3. ما الدروس والعبر التي يمكن استقصاؤها من هذه التجربة؟

أهداف الدراسة :

1. الكشف عن تجربة بدأت من الصفر في استخدام اللغة القومية في التعليم استطاعت تحقيق إنجازات ملموسة في مدة زمنية ضيقة .
2- عقد مقارنة بين أوجه الشبه والاختلاف بين مشكلات عبرنة التعليم العالي في إسرائيل ومشكلات تعريب التعليم في البلاد العربية.
3- وضع تصور مقترح لإمكانية الاستفادة من هذه التجربة في تطوير تعريب التعليم في البلاد العربية.

أهمية الدراسة:

1. تكتسب هذه الدراسة أهمية خاصة من بعدين أساسيين:

البعد الأول: أن اللغة العبرية تتشابه في كثير من الخصائص والصفات مع اللغة العربية، فضلاً عن أنها تنتمي لنفس الأسرة السامية.

البعد الثاني: أن عوامل فشل تجربة عبرنة التعليم العالي (من صعوبات وعراقيل)، إذا ما قورنت بصعوبات وعراقيل تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، كانت أكبر بكثير، وذلك مثل؛ جمود وموت اللغة العبرية، وبعدها عن العصر، وعجزها عن استيعاب ومواكبة تطوراته، وفقرها الشديد لمعظم المصطلحات العلمية، وقلة المتحدثين بها، وانعدام المراجع العلمية فيها، واستحالة العثور على مجلات أو مؤتمرات علمية ناطقة بها ، ومع ذلك استطاعت التغلب على كل هذه العقبات.

2. بحسب علم الباحثين، فإن هذه الدراسة تعتبر الأولى التي تناولت هذا الموضوع، إذ لم يعثرا على أي من الدراسات السابقة في هذا المجال.

مصطلحات الدراسة:

العبرنة: يعرفها الباحثان بأنها:" استخدام اللغة العبرية في التدريس و جميع الأنشطة الأكاديمية في المؤسسات التعليمية والبحثية الرسمية في إسرائيل".

اللغة العبرية: يعرفها الباحثان بأنها: " لغة سامية تنتمي الى نفس أسرة اللغة العربية، وهي مجموعة اللغات السامية، وتتكون من (22) حرفاً، وتتشارك مع هذه المجموعة في كثير من الخصائص والصفات ؛ كالتشابه الكبير في الأصوات، والصيغ الصرفية والتراكيب النحوية، والمفردات، كما أنها تكتب من اليمين إلى اليسار.

يعرفها(السباخي (2005):ص3) : بأنها: " اللغة العبرية تنتمي إلى اللغات السامية نسبة إلى سام بن نوح ، ومجموع حروفها (22) حرفاً، وكل حرف يأخذ شكلان في كتاباته ؛ وهما الشكل اليدوي وشكل الطباعة".

جامعة التخنيون: يعرفها الباحثان بأنها: " مؤسسة تعليم عالي (جامعة) في إسرائيل متخصصة في العلوم التطبيقية، بدأت معهد عام (1912) ثم تطورت لجامعة عام(1925)، بدأ التدريس فيها باللغة الألمانية ثم سرعان ما استبدل باللغة العبرية".

منهج الدراسة:

المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستقرائي.

أدوات الدراسة:

دراسة مكتبية (المصادر والمراجع والأدبيات والمواقع الإلكترونية ذات الصلة).

نتائج الدراسة:

أولاً: التجربة الإسرائيلية في عبرنة التعليم العالي وتجاوز مشكلاتها:

الحديث عن التعليم في دولة إسرائيل بشكل عام، والتعليم العالي بوجه خاص ومدى نجاح عبرنة التعليم لديهم، يقود لمعرفة معالم فلسفة التعليم وتطبيقاتها في إسرائيل منذ قيام دولتهم في بداياتها عام (1948م) وقبل ذلك التاريخ ومعرفة أهداف التعليم وفلسفته منذ المؤتمرات الأولى للحركة الصهيونية (الذى انعقد في مدينة (بال) بسويسرا سنة (1897م) بناءً على دعوة وجهها ثيودور هيرتزل الأب الروحي للصهيونية)(عبدالله، ص47)

إن التعليم في إسرائيل يلعب دوراً رئيساً في حياة اليهود وثقافتهم؛ ففي إسرائيل نظام تعليمي شامل يركز على اتجاهات تربوية تقدمية حيث يصل الإنفاق على التعليم في إسرائيل ما نسبته (10%) من الناتج المحلي الإجمالي، وتقوم الدولة بدعم معظم المدارس وكذلك الجامعات . وللتعليم في إسرائيل مسارات أربعة؛ مدارس حكومية دينية، ومدارس مستقلة، ومدارس للعرب وهناك أيضاً مدرسة خاصة تعكس فلسفات مجموعات عدة تسمى المدارس الديمقراطية، ويدرس معظم الشباب الإسرائيلي من تلاميذ وطلاب في المدارس والجامعات باللغة العبرية إلى جانب تعليم لغات أجنبية كالمدارس الأمريكية، والمدارس التي تدرس باللغة الألمانية.

وعلى غرار التعليم ونظامه عند العرب بشكل عام نجد نظام التعليم الإسرائيلي يتكون من ثلاثة مستويات ابتدائي، ومتوسط، وثانوي والتعليم عند اليهود إلزامي أيضاً من الحضانة إلى الصف التاسع ويبدأ العام الدراسي في إسرائيل بتاريخ الأول من شهر سبتمبر من كل عام وينتهي في 30 يونيه من العام الذى يليه، وبالوصول إلى التعليم الثانوي في إسرائيل وقبل الحصول على شهادة الثانوية العامة الإسرائيلية (البجروت) تغطي الامتحانات تخصصات أكاديمية مختلفة وبعدها يستطيع الطلاب معرفة اللغة العبرية، واللغة الإنجليزية ، والرياضيات، والتوراة ، والتاريخ.(حداد(ب-ت):ص14).

وهناك بعض الشروط للقبول في الجامعات الإسرائيلية، أهمها: إجادة الطالب الإسرائيلي للغة العبرية بجانب بعض اللغات الأجنبية؛ كالروسية، أو الفرنسية، أو الإنجليزية.

ومن خلال كل ما تقدم عن التعليم في إسرائيل وتحديداً التعليم الأساسي وصولاً إلى التعليم الثانوي وانتهاءً بالتعليم الجامعي، نرى مدى إشراف الدولة وإنفاقها على التعليم والحرص على أن تكون الدراسة في جميع المراحل باللغة العبرية لغة الدولة الأساسية، مما يدفع للقول بأن التجربة الإسرائيلية في عبرنة التعليم وبوجه خاص التعليم العالي قد نجحت إلى حد ما، رغم الصعاب والعقبات والمشكلات التي واجهت تلك التجربة؛ كقدوم أفراد المجتمع اليهودي من مواطن وبلاد عدة، كألمانيا وبولندا، وأمريكا، والعديد من الدول العربية، والأجنبية.

فنظام الحياة والعمل والدراسة في إسرائيل يحرص على أن تكون اللغة العبرية هي اللغة الأم وفي مختلف المجالات والعلوم والمعارف إلى جانب لغات أخرى .

ثانياً: الإنجازات التي حققتها تجربة عبرنة التعليم العالي في إسرائيل:

بداية كما سبق الإشارة إليه بأن الدولة العبرية تولي اهتمامها للتعليم بوجه عام والتعليم العالي بوجه خاص، ونقصد بالتعليم العالي الجامعات العبرية والكليات والمعاهد التي تدرس مختلف التخصصات الأكاديمية العلمية، والأدبية ، والتربوية مع الإشارة إلى أن دولة إسرائيل بها عدة جامعات أبرزها:

- الجامعة العبرية بالقدس، و جامعة بار إيلان، وجامعة تل أبيب، و جامعة بن غوريون و جامعة التخنيون بحيفا، إضافة إلى(34) معهداً ومركزاً للأبحاث. (عبد الله(1973): ص69)

وسـوف نركز في حديثنا عن تطور التجربة العبرية في "جامعة التخنيون" ، والإنجازات التي حققتها تلك الجامعة منذ بدايتها إلى يومنا هذا.

التخنيون بدأت بمسـمى معهد سـنة (1912) ويعني (التكتولوجيا) أو (الهندسـة) وقد تم افتتاحها كجامعة سنة(1925) وتشمل الآن الكليات الآتية:

كلية الهندسـة المعمارية ، كلية فن البناء، كلية الهندسـة الميكانيكية كلية الهندسـة الالكترونية، كلية الهندسـة الكيمياوية، كلية الزراعة، كلية هندسـة الطيران، كلية العلوم وهذه الكلية تخدم جميع الكليات الأخرى). (عبد الله(1973):ص70).

إذاً التخنيون بدأ معهداً ثم أصـبح جامعة عريقة في إسـرائيل، وهذه الجامعة تعد من أقدم الجامعات في إسرائيل.(موقع ويكيبيديا الإلكتروني)

ومن الإنجازات التي تحسـب لهذه الجامعة أنها صـنفت كأفضـل جامعة في إسـرائيل والشـرق الأوسـط. (ويكبيديا موقع إلكتروني).

بدأت الدراسـة في جامعة التخنيون باللغة الألمانية ، ثم تحولت إلى اللغة العبرية، بعد عبرنة التعليم العالي في إسرائيل وتحديداً في التخصصات العلمية كالطب والهندسة بكافة فروعها.

ويحتل معهد التخنيون المرتبة الثامنة بين المراكز الهندسية في العالم، كما يتبوأ المركز الأول في إسرائيل في الهندسة والتكنولوجيا الحديثة.

وفي عام (2004م) حاز البروفيسور (افرام هيرشكو) و (هارون تشيغا نوفير) من كلية الطب في "جامعة التخنيون" على جائزة نوبل في الكيمياء.

وبحسب التصنيف الوطني الإسرائيلي في عام (2012م) فقد احتلت جامعة التخنيون المرتبة الثانية ضمن أفضـل الجامعات في إسـرائيل بحسـب تصـنيف (ARWU)، أما في التصـنيف العالمي فقد احتلت المرتبة(18) ضمن أفضل(102) جامعة حول العالم وذلك وفقاً لتصنيف (ARWU).(ويكيبيديا)

وقد أدرجت في قائمة المركز العالمي لتصنيف الجامعات(4) جامعات إسرائيلية بعد أول (100) مؤسسة أكاديمية؛ وهي جامعة التخنيون، وجامعة بن جوريون، وجامعة بار إيلان، وجامعة حيفا.

(محيي 2015).

وتقدم الجامعة ألقاباً علمية في العلوم والهندسـة، وقد حصـل العديد من الأسـاتذة العاملين في الجامعة على جوائز عالمية في الكيمياء، وأي عالم إسرائيلي وبرفسور قادم إلى إسرائيل من أوروبا وأمريكا يريد العمل في الجامعة عليه إتقان اللغة العبرية إلى جانب لغته التي يتحدثها كالألمانية أو الإنجليزية أو الفرنسية وغير ذلك.

وقد لعبت جامعة التخنيون دوراً أساسياً في تاريخ إسرائيل الحديث فكان اختيار اللغة العبرية لغة للتدريس ، وهزيمة اللغة الألمانية في حرب اللغات علامة فارقة في اعتماد اللغة العبرية كلغة رسمية في إسرائيل ، وتعد جامعة التخنيون عاملاً رئيساً وراء نمو صناعة التكنولوجيا الفائقة التطور والابتكار في إسرائيل بما في ذلك المجموعة التقنية في البلاد، ويمكن القول: إن جامعة التخنيون تحتل مكانة مرموقة في إسـرائيل، وفي العالم بدأت بفكرة معهد عام 1912م.

وقد بدأت الدراسـة فيها باللغة الألمانية لوجود عدد من العلماء والأكاديميين اليهود القادمين من ألمانيا ، وفي إطار عبرنة التعليم العالي في إسـرائيل والصـراع بين لغات التدريس الأخرى بالجامعة من ألمانية وروسـية وأمريكية، اتخذ القرار باعتماد اللغة العبرية لغة أولى للتدريس بالجامعة منذ عام(1914) إلى يومنا هذا . (موقع ويكبيديا)

ثالثا: أوجه الشبه والاختلاف بين تجربة العبرنة وتجربة التعريب:

والأن يمكن الحديث عن أوجه الشبه والاختلاف بين تجربة العبرية ، وتجربة التعريب إذا اتفقنا منذ البداية على نجاح تجربة العبرنة في إسرائيل في مجال التعليم العالي وتحديداً التخصصات العلمية.

كالطب والهندسة في الجامعات الإسرائيلية مجتمعة وتحديداً في جامعة التخنيون كأفضل جامعة تكنولوجية في إسرائيل ومقارنة ذلك بتجربة التعريب في الجامعات العربية ، لاسيما التخصصات العلمية، فالمعروف أن سوريا من أوائل الدول العربية التي سارعت إلى تعريب الكليات العلمية في جامعاتها؛ كالطب والهندسة وخاضت تجربة التعريب إلى جانب وجود لغة الاستعمار الفرنسي لسوريا ، واليوم يمكن القول؛ إن العديد من الجامعات العربية في وطننا العربي من مشرقه إلى مغربه تعيش حالة تجمع ما بين الفرنسة - كما هو موجود في جامعات الجزائر والمغرب وقبلها تونس - والتعريب- كما أشرنا إلى ذلك كتعريب الطب والهندسة في الجامعات السورية، كنموذج يحتذي به لبقية الجامعات العربية التي تفضل الدراسة باللغة الإنجليزية أو الفرنسية على لغة الدولة الرسمية ونعني بذلك اللغة العربية، وهذا يدفعنا إلى عقد موازنة أو مقارنة بين اللغة العربية والناطقين بها في وطننا العربي الكبير والجامعات العربية المتعددة والمتنوعة، وبين إسرائيل وجامعاتها التي لا تزيد على ست جامعات، ورغم ذلك استطاعت إسرائيل اعتماد اللغة العبرية لغة للتدريس، بينما نحن العرب نعتمد اللغة العربية لغة رسيمة لكل دولة، بينما نترك الجامعات تختار لغة أجنبية إما انجليزية، أو فرنسية بحسب لغة من استعمرها سابقاً، وعدم بذل الجهود الكافية في تعريب التعليم وإجبار الجامعات على اعتماد اللغة العربية في ذلك، وذلك كما يحدث في إسرائيل، وكأن التقدم العلمي والحضاري للجامعات العربية لا يتم إلا باللغات الأجنبية وهذا- رأي بعيد عن الصواب- لذلك يرى الباحثان من خلال بحثهما ضرورة الاهتمام بالتعريب .

وليس عيباً الاستفادة من تجربة إسرائيل باعتماد اللغة العبرية في جامعاتها، سيما وأن لغتنا العربية لغة حية وقادرة على استيعاب المصطلحات العلمية ومواكبة كل جديد بما تمتاز به من خصائص وصفات فريدة تؤهلها للقيام بهذه الوظائف ، لكننا بحاجة إلى إرادة وعزيمة في مجال التعريب ، و بإصرار من كل الدول العربية كي ننهض بجامعاتها من خلال خطة طموحة يعززها الأمل والتوق للنجاح.

ولعل من أوجه الشبه والاختلاف بين تجربة العبرية، وتجربة التعريب في مجال الجامعات وتحديداً التخصصات العلمية كالطب والهندسة وغيرهم، فإنه يجدر الإشارة إلى أن اللغة العربية، واللغة العبرية تنحدران من أصل واحد فيما يعرف باللغات السامية أو اللغات الشرقية كاللغة الفارسية الحديثة، إلى جانب اللغتين العربية والعبرية .

علماً بأن مجموع اليهود الذين يتحدثون اللغة العبرية في إسرائيل لا يتجاوز الست ملايين متحدث بينما اللغة العربية يتحدث بها أكثر من أربعمائة مليون عربي إلى جانب من يتقنها من المسلمين غير العرب عبر العالم، وتتشابه اللغة العبرية واللغة العربية في طريقة الكتابة من اليمين إلى اليسار وفي نطق الحرف و عددها، وأيضاً فيما يعُرف بقواعد الإعراب، وإذا كان لدى العرب أنواع للخط، كخط النسخ وخط الرقعة؛ فإن اللغة العبرية تكتب بحروف طباعة وأخرى يد وية، والتفكير في عبرنة التعليم العالي بالجامعات الإسرائيلية بدأ بدايات القرن التاسع عشر (1920)، بينما التعريب في الجامعات العربية لا يزال هاجساً ومختلفاً عليه منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا.

ويرى الباحثان بأن مسألة التعريب في مقابل العبرنة، مسألة حياة أو موت فيما يتعلق بالتدريس الجامعي في التخصصات العلمية في الجامعات العربية وتحدديا في الوطن العربي، ولنا في التجربة السورية في التعريب وجامعاتها خير مثال على إمكانية نجاح التعريب، عندما ثم تعريب كلية الطب والهندسة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر وإلى يومنا هذا، وهذا يدل على أن خوض تجربة التعريب في باقي الجامعات العربية مرهون بمدى استجابة العامل السياسي إلى جانب العوامل الأخرى التي يجب أن يتمترس خلفها أعضاء الهيئة التدريسية ورؤساء الجامعات ووزراء التعليم العالي في الوطن العربي، وتغليب الجانب الحضاري العربي، وتذليل كافة الصعاب وصولاً إلى تحقيق الهدف المنشود، نشر التعريب وإنجاحه كما نجحت تجربة العبرنة في الجامعات الإسرائيلية .

رابعاً: الدروس التي يمكن استقصاؤها من تجربة العبرنة:

يمكننا من خلال المقارنة بين العبرنة والتعريب ان نستشرق مستقبلا افضل لتعريب التعليم في الجامعات العربية

فعلى سبيل المثال لا الحصر وبتتبع تجربة العبرنة الإسرائيلية في التعليم العام وصولاً إلى العبرنة في الجامعات الإسرائيلية لم تكن وليدة الصدفة، بل وفق رؤية تعتمد على اعتبار اللغة العبرية لغة رسمية ومعتمدة للتعليم . وفي كل مؤسسات الدولة العبرية رغم أن اليهود الذين جُلبوا من أقطار العالم المختلفة كانوا يتحدثون بعدة لغات؛ كالألمانية والانجليزية والفرنسية وغير ذلك من مختلف اللغات ومع ذلك تم فرض اللغة العبرية على المجتمع الاسرائيلي بدون استثناء. ورغم الصعوبات والعقبات التي واجهت تجربة العبرنة إلا أنهم استطاعوا التغلب عليها وسادت العبرنة . وفي المقابل فان واقع التدريس الجامعي في الجامعات العربية يشير الى تغليب اللغات الأجنبية على اللغة العربية وتحديداً في كليات الطب والهندسة وغيرهما وكي نصل إلى ما وصل إليه أصحاب التجربة العبرية، فعلينا أن نؤمن بمقولة " الأفضل لما شهدت به الأعداء" أو غير ذلك. إذاً فما الذي جعل دولة لا يزيد عدد سكانها ست ملايين يعيشون في دولتهم وخارجها يفرضون لغتهم العبرية في التدريس الجامعي بينما نحن العرب نزيد عن أربعمائة مليون عربي لا نستطيع اعتماد اللغة العربية في التعليم فهذا ضعف واضح وهو بحاجة إلى إرادة قوية كي نحقق رؤية مستقبلية تقر بأن اللغة العربية اللغة الرسمية لجميع الدول العربية و يجب أن تعتمد في الجامعات.

إن تجربة التعريب في بعض مؤسسات التعليم العالي في وطننا العربي تجربة تتأرجح بين الفشل والنجاح،

فرغم عدم التشتت اللغوي في جميع أقطار الوطن العربي، وهى اللغة الرسمية في التدريس المدرسي، وفي مؤسسات الدول العربية قاطبة وهي لغة القرآن الكريم، ولغة التخاطب اليومي في المنزل وفي الشارع وفي المدرسة فهذا يسهل تداولها وتدريسها في الجامعات ونعني بذلك التدريس العلمي في الكليات العلمية المشار إليها سابقاً كالطب والهندسة ورغم المؤتمرات العديدة، والبحوث ، والدراسات ...إلخ إلا أن أسلوب التضليل والمراوغة، وعدم الجدية يطغي على كل المقومات ، والإمكانيات من أجل انجاح مسألة التعريب وهذا عيب كبير في حقنا كعرب ومسلمين .(محمود(1994):ص2).

ونجاحنا في التعريب ليس بمستحيل فنحن العرب نستطيع أن نصنع من المأساة معجزات، كما فعل أجدادنا في الماضي عندما أبدعوا وألفوا في مختلف المجالات العلمية من طب وكيمياء ورياضيات باللغة العربية وبحثوا وصنعوا تجاربهم العلمية ودونوا ذلك بلغة القرآن الكريم ثم ترجمت إلى العديد من لغات العالم.

إذاً يمكن القول إننا اليوم أصبحنا أكثر من أي وقت مضى بحاجة ماسة إلى التعريب في مواجهة العبرنة ، وليس الفرنسة في مقابل التعريب، والمستحيل يمكن أن يتحول إلى ممكن، بل إلى واقع وحقيقة.

توصيات الدراسة:

1. إجراء دراســـات معمقة ودقيقة عن التجربة الإســـرائيلية في عبرنة التعليم العالي للوقوف على عوامل نجاحها، واستراتيجياتها في تخطي معظم العقبات والصعوبات التي واجهتها، سيما وأن اللغة العربية تتشابه- إلى حد بعيد- في خصائصها وصفاتها مع اللغة العبرية.
2. ترى هذه الدراسة بأن معظم الصعوبات التي يتذرع بها معارضو التعريب، ما هي إلا صعوبات وعراقيل واهية (إذا توافرت الإرادة الحقة في إنفاذ التعريب) ، خاصـــة اذا جاز لنا المقارنة بين العبرنة والتعريب، فالمنطق يقول؛ بإمكانية تفوق التعريب من حيث الكم والنوع ، لكن وللأســف نجد أن التجربة الإســـرائيلية قد تفوقت كثيراً على تعريب التعليم في جامعاتنا العربية ، ولذلك توصي هذه الدراسة بإجراء دراسات علمية وعقد ورشات عمل وندوات لمراجعة تلك الصعوبات والمشكلات، وإعادة النظر فيها، ووضع حلول عملية قابلة للتطبيق لتجاوزها.

مقترحات الدراسة:

تقترح هذه الدراســـة على المســـئولين وأصـــحاب القرار كوزراء التعليم ورؤســـاء الجامعات في الوطن العربي، وكل الغيورين على لغة القرآن الكريم ، أن يطرحوا مبادرة التعريب في مقابل العبرنة في كل التخصـــصـــات العلمية، بغية تحقيق الارتقاء والاســـتقلالية والتخلص من التبعية، ورســـم دور بارز للأمة العربية في تطوير الحضارة الإنسانية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم، محمود،(1994): تعريب التعليم الجامعي – بحوث في اللغة العربية ومشـــكلات تعريب العلوم. دار آفاق للنشر والتوزيع-عمان.
2. جريس، صبري (1967): العرب في إسرائيل. بيروت.
3. حافظ، محمود (ب-ت): قضية تعريب التعليم العالي والجامعي في مصر.
4. حداد، سلمى (ب-ت) الطلاب في إسرائيل. دراسات فلسطينية- بيروت.
5. الحلبي، مرزوق (2009): محاولات لضبط سوق الثقافة الإسرائيلية بواسطة التشريع. مجلة قضايا إسرائيلية- المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار) ،ع(36)- السنة التاسعة ص ص104-110 .
6. دار المريخ-الرياض- السعودية.
7. راشد، سيد (1993): اللغة العبرية قواعد ونصوص.
8. الزغلول، محمد وحســين، فايز (1987): لغة التعليم العالي في الجامعات العربية. مجمع اللغة العربية الأردني ،ع (33)، السنة الحادية عشرة، تموز.
9. السباخي، ثابت (2005): المحادثة بالعبرية بأسلوب ميسر، دار الأرقم- غزة.
10. عبد الله، صالح (1973): تعليم العرب في إسرائيل.
11. غابيزون، روت(2008): تأملات في مغزى وأبعاد مصـــطلح" يهودية" في تعبير" دولة يهودية وديمقراطية" مجلة قضـايا إسـرائيلية، ع(31-32)- السـنة الثامنة- المركز الفلسـطيني للدراسـات الإسرائيلية- ص ص76-89.
12. الكركي، خالد(2019): اللغة العربية وهوية الأمة. دار الفارس للنشر والتوزيع- عمان- الأردن.
13. كلية العلوم_ جامعة القاهرة.
14. كمال، زكي (1967): العرب في الأرض المحتلة. دمشق.
15. اللحام، يحيى (2019): لماذا يجب علينا أن ندرس التجربة الإســرائيلية في عبرنة التعليم العالي؟ مقالة علمية منشورة في صحيفة اللغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية، ديسمبر. على الرابط : Languageic.org.
16. محيي، محمود (2015): 3 جامعات اســرائيلية ضــمن افضــل 100 جامعة حول العالم. مقالة في صحيفة اليوم السابع (20 يوليو) القاهرة.
17. مركز الأبحاث- بيروت.
18. مصـطفى، شـاكر (1971): المعلم العربي والتعليم في الأرض المحتلة- مؤتمر اتحاد المعلمين العرب السابع- فبراير، الكويت.
19. المناوي، محمود(2013): في التعريب والتغريب. الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة.
20. ويكيبيديا _ موقع إلكتروني.